

في الاجتماع اللغوي

## تطور اللغة وارتقاؤها

أثر العوامل الأثرية المقصورة : الرسم

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تكلمنا في المقال السابق عن أنواع الرسم وتاريخه ،  
وسنعرض في هذا المقال لموضوع مطابقتها للنطق ولأثره في حياة  
اللغة وتطورها

الأصل في الرسم الهجائي أن يكون معبراً تبييراً دقيقاً عن  
أصوات الكلمة بدون زيادة ولا نقص ولا خلل في الترتيب ؛  
فيرسم في موضع كل صوت من أصواتها الحرف الذي يرمز إليه ،  
ولا يوضع فيها حرف زائد لا يكون له مقابل صوتي . وقد حوفظ  
على هذا الأصل إلى حد كبير في بعض اللغات الإنسانية ، وخاصة  
التقديم منها . فرسم الكلمة في السنسكريتية مثلاً لا يكاد يختلف  
في شيء عن صوتها<sup>(١)</sup> ، ولكن معظم أنواع الرسم ، وخاصة  
الحديث منها ، لا تتوافر فيه هذه المطابقة . فكثيراً ما يرسم  
في الكلمة حرف زائد أو حروف زائدة ليس لها مقابل صوتي  
في النطق ( « مائة » في العربية ؛ " loup " في الفرنسية ؛  
" thamb " في الإنجليزية ... الخ ) . . . وكثيراً ما تشتمل الكلمة  
على أصوات لا تتلها حروف في الرسم ( « هنا » في العربية ؛  
" picture " في الإنجليزية ... الخ . . . وكثيراً ما يرسم في الكلمة  
حرف أو أكثر للتعبير عن صوت غير الصوت الذي وضع له  
( " dompter " في الفرنسية ؛ " enough " ، " ocean " ، " of " )  
في الإنجليزية ... الخ) . . . وكثيراً ما يتطابق بالحرف الواحد أو بالقطع  
الواحد في صور صوتية مختلفة تماماً لاختلاف الكلمات أو اختلاف

أزمنتها ، أو اختلاف موقعه فيها ، أو اختلاف ما يسبقه أو يلحقه  
من حروف ... فيرتق في بعض الكلمات ويفنم في بعضها الآخر ،  
أو يعد في بعضها ويقصر في بعضها الآخر ، أو يضبط عليه في بعضها  
ويرسل في بعضها الآخر . . . وهم جراً ( اللام ) في « والله »  
« بالله » " law, low " ، " a piece of lead, I lead some  
men " ؛ " I will read this book, I have just read this  
book " ؛ " The lines that separate... this book con-  
tains separate sciences " ؛ " I object against this way,  
the object of our book is... " ؛ " a piece of bread, in  
time of peace " وكثيراً ما تختلف الحروف في كلتين ويتحد  
النطق بهما

ويرجع السبب في هذه الظواهر وما إليها إلى عوامل كثيرة  
من أهمها عاملان :

أحدهما : أن حروف الهجاء في معظم أنواع الرسم لا تمثل  
جميع أصوات اللغة التي تكتب بها . فقد جرت للمادة مثلاً في  
معظم أنواع الرسم ألا يوضع لكل صوت تام أكثر من حرف  
هجائي واحد ، مع أن للصوت اللام كثيراً ما يندرج تحته أصوات  
مختلفة في خرجها ونبرتها وقوتها ومدته للنطق بها وما إلى ذلك .  
فالصوت اللام مثلاً ليس له في معظم أنواع الرسم الحديثة  
إلا حرف واحد ( ل ا ... ) ؛ مع أن هذا الصوت يختلف نطقه  
باختلاف الكلمات والمواقع . فأحياناً ينطق به مرهقاً ( بالله  
low, hole ) ، وأحياناً مفخماً ( والله ، law ) ؛ وتارة ينطق به  
مضغوطاً عليه ( أقسم بالله ) وأخرى ينطق به مرهقاً ( نستعين  
بالله ) . . . وهم جراً ؛ ورسمه واحد في جميع هذه الحالات .  
والصوت اللام للألف اللينة ليس له في العربية إلا حرف واحد ؛  
مع أنه أحياناً ينطق به مستقيماً وأحياناً ينطق به عمالاً . والصوت  
اللام للجيم ليس له في العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه في بعض  
اللهجات ينطق به مجرداً من التعتيش ، وفي بعضها ينطق به  
معتشاً كل التعتيش ، وفي بعضها ينطق به بين هذا وذاك .  
وثانيهما : أن أصوات اللغة في تطور مطرد وتغير دائم .

فالأصوات التي تتألف منها كلمة ما لا تجمد على حالتها القديمة ،  
بل تتغير بتغير الأزمنة والمناطق ، وتتأثر بطائفة كبيرة من العوامل  
الطبيعية والاجتماعية واللغوية : فأحياناً يسقط منها بعض أصواتها

(١) وقد ساعد على ذلك أن الرسم السنسكريتي لم يكد بتأثر صوتاً  
من أصوات اللغة إلا وضع له حرفاً يرمز إليه . وذلك كثرت حروف  
الهجاء في هذا الرسم ، وقويت على التعبير عن مختلف الأصوات ، فقد  
بلغت ٤٦ حرفاً ساكناً و١٣ حرفاً ليناً ، هذا إلى ثلاث علامات الشكل .

هم المرضين لهذا الخطر ، بل إنه كثير أما بصيب أهل اللغة أنفسهم . وإليك مثلاً الحرف المضعف في اللغة للفرنسية في مثل savamment, évidemment ... الخ فقد كان ينطق به وفق رسمه في المصور الأولى لهذه اللغة . ثم انقرضت هذه الطريقة منذ خمسة عشر قرناً تقريباً ، وأخذ الفرنسيون ينطقون به تخففاً كما ينطقون بحرف واحد savaman, évidaman ولكن منذ عهد قريب أخذت عادة النطق به مشدداً تظهر في السنة كثير منهم تحت تأثير صورته الخطية . فبن جراه الرسم نكصت اللغة على عقبها في هذه الناحية خمسة عشر قرناً إلى الوراء<sup>(١)</sup>

ومن أجل ذلك كان العمل على إصلاح الرسم وتضييق مسافة الخلف بينه وبين النطق موضع عناية كثير من الأمم في مختلف المصور . فقد ظهر في هذا السبيل بعض حركات إصلاحية عند اليونان والرومان في المصور السابقة لليلاد . وفي أواخر القرن التاسع عشر عالج الألمان أساليب رسمهم القديم وأصلحوا كثيراً من نواحيه . ومثل هذا حدث منذ عهد قريب في مملكة النرويج ثم في جمهورية البرازيل . وقد بدت بهذا الصدد محاولات إصلاحية كثيرة في البلاد الواطئة ( هولاندا ) وأجنترا والولايات المتحدة ؛ ولكن معظم هذه المحاولات لم يؤد إلى نتائج ذات بال وأدخلت الأكاديمية الفرنسية - يشد أزرها وبماؤها طائفة من ساسة فرنسا وعلمائها - إصلاحات كثيرة على الرسم الفرنسي . وقد جانبت في إصلاحاتها هذه مناهج الطفرة ، وانتهت - بل التدرج البطيء . فكانت تدخل في كل طبعة جديدة لمجموعها - بجانب التنقيحات اللغوية والعلمية - طائفة من الإصلاحات الإملائية . وقد أقرت عام ١٩٠٦ مجموعة هامة من القواعد الجديدة في الرسم الفرنسي . هذا إلى إصلاحات العلامة جريار Grèard التي تناولت كثيراً من نواحي الرسم وأقرتها الأكاديمية الفرنسية . وكانت كل مجموعة من هذه الإصلاحات تلتقي مقاومة عنيفة من جانب غلاة المحافظين . وعلى الرغم من ذلك ، فقد عم الأخذ بها ، وكان لها أكبر فضل في تيسير الرسم الفرنسي

(١) ومن ذلك أيضاً الحروف الساكنة ( غير الهينة ) في آخر الكلمات فقد حذف في النطق الفرنسي في معظم المفردات منذ عهد بعيد ، ولكن أخذ كثير من الفرنسيين في العهد الحاضر ينطقون ببعضها تحت تأثير صورته الخطية but ( نطقها الصحيح bu ) وقد تحولت الآن في السنة كثير من الفرنسيين إلى « bute »

القديمة ، وأحياناً تضاف إليها أصوات جديدة ، وتارة يستبدل يعض أصواتها أصوات أخرى ، وتارة تحرف أصواتها عن مواضعها فيختل ترتيبها القديم ... ؛ وقد ينالها أكثر من تغير واحد من هذه التغيرات . على حين أن الرسم لا يسير النطق في هذا التطور ، بل يعيل غالباً إلى الجلود على حاله القديمة أو ما يقرب منها ؛ فلا يدون للكلمة على الصورة التي انتهت إليها أصواتها ، بل على الصورة التي كانت عليها من قبل ؛ وهذا هو منشأ الخلاف في معظم اللغات الأوربية الحديثة بين النطق الحالى لكثير من الكلمات وصورتها في الرسم . فمعظم وجوه هذا الخلاف ترجع إلى جمود الرسم وتمثله لصور صوتية قديمة نالها مع الزمن كثير من التغير في السنة الناطقين باللغة

•••

هذا ، ولرسم في حياة اللغة ونهضتها آثار تجمل عن الحصر ، فبفضله تضبط اللغة وتدون آثارها ، ويسجل ما يصل إليه ذهن الإنسان ، وتنتشر المعارف وتنتقل الحقائق في الزمان والمكان . وهو قوام اللغات الفصحى أو لغات الكتابة ودعامة بقائها . وبفضله كذلك أمكننا الوقوف على كثير من اللغات الميتة كالسنسكريتية والصربية القديمة والإغريقية واللاتينية والقوطية . فلولا ما وصلنا من الآثار المكتوبة بهذه اللغات ما عرفنا منها شيئاً ولضاعت منا مراحل كثيرة من مراحل التطور اللغوي . غير أن عدم مطابقة الرسم للنطق يجعل له بجانب المحاسن السابقة بعض آثار ضارة ، فهو يمرض الناس للخطأ في رسم الكلمات ، ويجعل تعلم القراءة والكتابة لأهل اللغة أنفسهم من الأمور الشاقة المرهقة ، ويطيل مدة الدراسة ، فيسبب إسرافاً كبيراً في الوقت والجهد ، وما يلاقيه أهل اللغة من صعوبات بهذا الصدد يلاق أضماؤه الأجانب الراغبون في تعلمها ، ومن الواضح أن هذا يموق انتشارها في الخارج ، ويضيق سبل الانتفاع بأدائها وعلومها ، فيصعب التقام بين الشعوب وتضعف بينها حركة التبادل العلمي والثقافي . هذا إلى أن تمثيل الرسم لصور صوتية قديمة يعمل على رجوع اللغة إلى الوراء وردها إلى أشكالها السقيمة . فكثيراً ما يتأثر الفرد في نطقه للكلمة بشكلها الكتابي ، فلا يلتفت بالصورة التي انتهى إليها تطورها للصوتي ، بل ينطق بها وفق رسمها فتتعرف إلى الوضع الذي كانت عليه في العهود القديمة . وليس الأجانب وحدهم

وينسبون إليها ويشققون منها أفعالاً وصفات . وللاقتصار عليها وكثرة استخدامها في الحديث والكتابة تنومى أصلها عند عامة الناس ، وأصبح كثير منهم يعتقد أنها كلمات كاملة ( النازى ، الأتراك ... الخ )

والرسم أثر كبير في تحريف النطق بالكلمات التي يقتبسها الكتاب والصحفيون عن اللغات الأجنبية . وذلك أن اختلاف اللغات في الأصوات وحروف الهجاء والنطق بها وأساليب الرسم ، كل ذلك يجعل من المتندر أن ترسم كلمة أجنبية في صورة تمثل نطقها الصحيح في اللغة التي اقتبست منها . فمثلاً من جراء ذلك أن ينطق بها معظم الناس بالشكل الذي يتفق مع رسمها في لغتهم ، ويشيع هذا الأسلوب من النطق ، فتصبح الكلمة غريبة كل الغرابة أو بعض الغرابة عن الأصل الذي أخذت عنه . وليس هذا مقصوراً على اللغات المختلفة في حروف هجائها كالعربية واللغات الأوربية ، بل يصدق كذلك على اللغات المتفقة في حروف الهجاء كالفرنسية والإنجليزية . فجميع الكلمات الإنجليزية التي انتشرت في الفرنسية مثلاً عن طريق رسمها في الصحف والمؤلفات ينطق بها الفرنسيون في صورة لا تتفق مع أصلها الإنجليزي ; boy-scout ; foot-ball ; rugby ; hockey ; sterling , standard of living .. etc. حتى إن كثيراً منها لا يكاد يبينها الإنجليزي إذا سمعها من فرنسي

علي هير الرامر راني

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

وتضيق مدى الخلاف بينه وبين النطق الحديث

والرسم العربي نفسه قد تناولته يد الإصلاح أكثر من مرة من قبل الإسلام ومن بعده . ومع ذلك لا يزال عدد كبير من المفكرين في عصرنا الحاضر يأخذون عليه كثيراً من وجوه النقص والإبهام ، وينادون بإصلاحه من عدة نواح وخاصة فيما يتعلق برسم الممزة والألف اللينة ، وابتداع طريقة لإحلال علامات ظاهرة ترسم في صلب الكلمة محل الفتحة والكسرة وللضمة حتى يتق اللبس في نطق الكلمات : ( عليم ، عليم ، عليم ، علم ، علم ... الخ ) . ولكن الرسم العربي ليس في حاجة إلى كثير من الإصلاح ، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً في القواعد ومطابقة للنطق

\*\*\*

هذا ، وعلى الرغم من المساوي السابق ذكرها ، فإن لجود الرسم على حاله القديمة أو ما يقرب منها بعض فوائد جديدة بالنتويه ، فهو يوحد شكل الكتابة في مختلف العصور ، ويسهل تناقل اللغة ، ويمكن الناس في كل عصر من الانتفاع بمؤلفات سلفهم وآثارهم . فلو كان الرسم يتغير تبعاً لتطور أصوات الكلمات لأصبحت كتابة كل جيل غريبة على الأجيال اللاحقة له ، ولا احتاج للناس في كل عصر إلى تعلم طرق النطق والإلام بحالة اللغة في العصور السابقة لم حتى يستطيعوا الانتفاع بمخلفات آباؤهم . هذا إلى أن جود الرسم على حاله القديمة يفيد الباحث في اللغات أكبر فائدة . فهو يمرض له صورة صحيحة لأصول الكلمات ، ويقفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة فالرسم للألفاظ أشبه شيء في هذه الناحية بالتحف للأثر .

\*\*\*

وقد كان للرسم في اللغات الأوربية فضل كبير في تيسير النطق بكثير من الأسماء المتعذرة المركبة من عدة كلمات ، فقد جرت العادة أن يكتب في التعبير عن هذه الأسماء بذكر الحروف الأولى للكلمات التي تتألف منها : " t. s. f. = télégraphe " و " M. A. " = Master of arts . وشاع هذا الاستعمال في أسماء المخرجات ، والشركات ، والأحزاب ، والفرق الحربية ، والنظريات ، والشهادات العلمية ... وما إلى ذلك . وقد أزلت هذه الرموز منزلة الكلمات ، وأخذ الناس يصرفونها

## السينما مفخرة القرن العشرين

٢٠٠ صفحة على ورق مصقول بالصورة

بقلم محمد عبد القادر المازني

—•••—

الاشتراك قبل الطبع ١٠ قروش

ترسل قيمة الاشتراك إلى إدارة الرسالة

أو إلى المؤلف بعنوان ص . ب . ١٣٥٦